مُتوالية (المُثنيات المتلازمة) وأثرها في تشكل رؤية النص الشعري
قراءة في (وطن بطعم الجرح) مُشتاق عباس معن

Concomitant Pairwise Cluster : Narrativity of Poetry
(Reading on " A land Flavoured with Scar " of Mushtaq `Abbas Ma`an)

م.د. سعيد حميد كاظم وناس
Lectur. Dr. Sa`aed Hameed Kadhim Wanas

متوالية (المثنّيات المتلازمة) وأثرها في تشكّل رؤية النص الشعري
قراءة في (وطن بطعم الجرح) مشتاق عباس معن

Concomitant Pairwise Cluster : Narrativity of Poetry (Reading on "A land Flavoured with Scar" of Mushtaq `Abbas Ma`an)

م.د. سعيد حميد كاظم وناس
مديرية تربية محافظة كربلاء المقدسة

Lectur. Dr. Sa`aed Hameed Kadhim Wanas
Education Directorate of Karbala

Saeedhamead74@gmail.com

تاريخ التسليم: ١٧/ ٥/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ٢٤/ ٥/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

يُعدُّ التضاد فناً لغوياً وبلاغياً فهو بنية تتضافر فيها الرؤى والأفكار والمعاني لإنتاج نص زاخر برؤى أخرى ليتم توظيفها في سياق النص من أجل اتساع آفاقه، وهذا ما تجلّى في ملامح المشروع الشعري للشاعر (مشتاق عباس معن) إذ تتعاضد الأفكار والرؤى في فضاء نصه الشعري لتستقرَّ في أبهى تجلياتها، وتصل في بعض مفاصلها الذروة في الأداء الشعري والمقدرة الأدائية؛ لذلك نشهد تكريسًا لهما، وهما يستمدان وحيهما من فكرٍ رصين ورؤى تحقق مظانها عند منعطفات البيان والجمال، لذلك وُسِمت تجربته الشعرية برسوخ الوعي، فيما نحا مشروعه إلى أفقٍ مغاير من أجل إحداث قفزة تطويرية على صعيد الرؤى والأنساق، لذلك حاول الشاعر عقد علاقة وطيدة بين التفاصيل الشعرية الدالة وبين رؤيته، وأضاف إليهما ملامحَ جمالية، زيادةً على ذلك أعطى النصوص ثراءً معرفيًا من روحه وخياله متوجهما بالمزيد من الأفكار والرؤى المختلفة وباثًا في النص روائع طروحاته متوخياً الجمال في كلِّ عبارة من أجل خلق عمل موسوم بالنضج، بيد أنّ هذه الأنساق الموسومة بالاكتناز المعرفي تؤسس لفرضيات دالة من أجل تحقيق معطيات معرفية أخرى عبر الإرساليات الفكرية التي يبثها في نصّه الشعري، مستعملًا طاقات اللغة في سياق بياني، وقد منح تلك اللغة بعدًا معرفيًا ليجعلها تسير على وفق إمكانياتها في الدلالة والتركيب، فضلاً عن ترشح الترادف والتضاد معزّزهما بالتوازي، وهي مقصديات دائمة السؤال تبحث عن لماذائياته لتقترب من الهم المعرفي على وفق أسئلة فلسفية مشروعة معزّزة بالمعايير الإنسانية لتجد حضورها من أجل رسم ملامح الذات والهوية، والإفاضة في بلورة خلاصة دالة للوعي والفكر والمعرفة.

لقد انطوت أبعاد النص الشعري على تعدّد في الرؤى واتساع في الأفكار، وتُعدُّ تلك المحمولات الدلالية مؤشرًا قويًا في لغة النص التي تزدان بمقصدية الإتقان ودقة البلاغة وقوة البيان ليتشكّل المغزى الأدبي كاشفًا عن تضاريسه المتدفقة بالوعي والتي يمكن التعاطي معها من أجل رصد الأنساق الشعرية، إذ لنصوصه الشعرية القدرة على تحويل التجربة إلى بنى فنية وبث الحيوية في مضمار الرؤى الشعرية ومدّها بالحركة لتدلي بفاعلية الأداء من أجل ارتياد آفاق تجريبية يهدف الشاعر من ورائها إلى تعميق وعي التجديد وترسيخ الفعالية الذهنية لتأكيد العطاء الذهني، وأنَّ جدلية التضاد واحدة من نواتج الرؤية الدالة التي تضاعف طاقة الإيحاء بوصفها آيقونةً فنيةً تحتاج إلى عمق معرفي كي تنتزع الدلالة من تفاعلاتها.

Abstract

Contradiction is considered as a linguistic and rhetorical art in which the visions , thoughts and meanings thrive to generate a text steeped in other visions to be employed in a context for scope expansion. Such is quite manifest in the poetics of the poet Mustaq `Abbas Ma`an whose text is an abode of thoughts and visions to be in the pinnacle of their revelation. In certain conjectures , they reach the apogee in poetic performance and competent production , that is why there is application to them as they imbibe existence from an authenticated mind and vision adept in achieving their missions on the scale of transparency and aesthetics . Consequently, his poetic experience is best identified as rooted perception , in time his project tends to have a quantum leap on the scale of visions and patterns . Here the poet endeavours to yoke the manifest poetic details altogether with his viewpoints , tints with aesthetics , moreover solidifies them with knowledge from his mind`s eye and guides them into the apogee of thoughts and various visions to broach his ideas for the sake of mentality . Such patterns incarnated with knowledge pave the way to epistemic results via intellectual manifestation , a poetic text reveals, employing linguistic vantage points with a knowledge scope to run in pace with semantics and structure. Furthermore, there are both the similarity and difference buttressed with equilibrium as a permanent fount of question on whys and wherefores to approach to the epistemic problem on the scale of legitimate philosophical questions with humanist standards to have existence and identity and to conclude with mentality ,thought and knowledge.

The scope of the poetic text come to the fore through diversity of vision and quality , such semantic attempts are considered as an efficacious indicator in the language of the text wreathed with precision, accuracy of eloquence and power of evidence to form the literary intent , messages of mentality , to fathom the poetic patterns . For the the poetic tests there is a feature to render the experience into artistic structure and cast vitality into the poetic visions to have viable performance for the sake of experimental horizons the poet manipulates to broaden innovation and strike the mental response to certify the intellectual fruition. In short, the controversiality of contradiction comes as one of the results of the evident visions that propagate the contextual aspects as an artistic icon, in need of epistemic depth to strip signs of its interaction.

الثنائيات الضدية بنية معرفية

لاشك أنَّ المنظور المعرفي في بنية النص الشعري معززٌ بالأبعاد الجمالية والفنية في علاقةٍ ديالكتيكية، وبهذا يكونان طرفًا في الإنجاز، أمّا الأفكار فهي تقع ضمن المثاقفات الدائرة في بنية النص الذي يدلي بمزاياه الجمالية لتقديم رؤية فيها استبصار معرفي ثقافي من أجل حضور نص تتعدد فيه المقاربات الجمالية والرؤى الفنية، لذا فإنَّ المعطى الشعري إنّما يؤسس للحظاتٍ بديلة تنطلق في تأملاتها نحو تأسيس قيمة إبداعية.

وإنّما كان هذا الإجراء على مستوى التفاصيل الموزعة في بنية النص الشعري على أن المسوغات المؤثرة ترتكز على الاختلاف في جوهرها، وتعوّل على التجاوز في البنية الداخلية والخارجية للنص الشعري لينتهي النص بمجمله إلى التلاحم في العلاقات الدلالية سواء على المستوى البنيوي أم على المستوى التعبيري؛ لبيان علاقة المقاربة بينهما وكشف الاختلاف الحاصل على مستوى الرؤى والأفكار من أجل تأدية معنى آخر يتجلى فيه الوعي مهيمنًا على الأنساق الظاهرية منها والمضمرة، التي لم تكشف عن نفسها إلاّ بالمزيد من الإمعان والتأمل لبيان التعليل الفني والجمالي في النص الشعري، ولذا أبدت الصور الشعرية خصائصها الفنية فيما اجتمعت حزمة الأوصاف الجمالية والموضوعية المشحونة بالشعرية بما تحمله من معانٍ متعاكسة ودلالاتٍ متناقضة من أجل تحويل هذا الإنجاز إلى تعدّد معرفي، زيادةً على أنَّ النص يكشف عن أدواته الإجرائية التي يقدّم من خلالها خصوصيته الفنية الجمالية ليفضي تماسكهما إلى تجربة تمتزج فيها روح الشاعر بوعي القارئ.

إنَّ امتداد المسافة بين الوعي الجمالي والخبرة الأدائية للشاعر تكاد تتسع كلما وصلت إلى تعزيز رؤى المعاني من أجل إحداث قفزة نوعية في نسق النص الشعري لإنتاج معرفة دالة واضحة الأطر والتصورات، لذا كانت الأفكار والرؤى تدور

حول قطبية المعنى وصولاً بها إلى بؤرة التوتر في النص، وما تعدّد الأسئلة المعرفية التي أراد الشاعر ترسيخها في النص الشعري إلا لكي تسير في خطٍّ موازٍ لمضامينها ذات الأبعاد الجمالية والفنية، لتجري كلها في علاقة ديالكتيكية لإنتاج المعنى الدال حول قطبية المجال الشعري.

وممّا يعزّز هذا الطرح أنّ القوة الأساس التي تحرّك الشاعر هي المحيط الاجتماعي والواقع النفسي اللذان فرضا وجودهما في ذات الشاعر، وجعلاه ينشغل بهما، بل عليه أن يجد السبل لإيجاد التوازن بين ما تحمله ذاته وبينهما كي يقف في المسافة التي تشرع بوجود مطامحه، وبهذا يدخل دور الوعي الشعري واللا وعي الذي لم تستقر له قراءة واحدة لكشف رؤى النتاج الفكري في بنية النص الشعري، لذلك كانت النافذة التي تطلُّ منها رؤية الشاعر هي بيان المتناقضات في الرؤى وتناقض المتباينات في الواقع من أجل العمل على إيجاد مساحة مشتركة بينهما، لذلك أطلقَ العنان لوعيه وأماطَ اللثام عن لغزه لتلتقي تلك المتضادات والمتباينات في فضاء النص كي يفصحا عن رحلة البحث عن الذات، والكشف عن مآلات الروح.

ترتدينـــــــــــــــــــــــــــــــــي
الجـــــــــــــــــــــــــــــــــــرار
خجلى
وظمأى
والسحاب الثقال بالوصل ينأى
فيظل الجفاف يســـــــــــــــقي
جذوري
وثماري العجاف بالموت ملأى(١)

إنّ دالة التضاد التي صنعها الشاعر عبر(الجفاف/ الارتواء) و(الخلو/ الامتلاء) وأكسبهما قيمةً شعريةً كيما يدلي مضمونها بالأثر الذهني كان لها الأثر في بيان ما يحيط بالذات، وقد تمَّ الاستدلال عبر مابثته الموجهات الشعرية لمزيد من الوعي الداعم إلى توثيق اكتشاف مهيمناتها على الذات، وبهذا فقد وفّق الشاعر في تكثيف صوره حتى صارت تشكيلاته الشعرية المتضادة تكثيفًا إيحائيًا لدلالات زاخرة لاحدود لبعضها لتظلَّ نصوصه مكتنزةً بالدلالات ومترعة بمآلات التجربة الشعرية، وبينما يسير النص بهذا الاتجاه وإذا به يحدو باتجاه رؤى أخرى سعيًا منه للتغيير لانتهاج شكل جديد من أشكال الإفصاح عن الذات والهوية.

ولعل الثيمة الأساس التي رسمها الشاعر هي المعاني المخبأة خلف الدوال التي تضمر مسكوتًا عنه، وهي ذاتها من تحوي صراعًا بين (طموح الذات/ عقبات الواقع) في النص الشعري، الذي وشّحه الشاعر كي يكون ملمحًا جماليًا زيادةً على ما يستبطن من قيمٍ معرفية، لذلك فهذا التوصيف قد أضفى على واقع شعره مسحةً أخرى يمكن أن نسميها بـ(التساؤلات الفكرية) التي يمكن رصد مؤشراتها، ولعل ما تفرزه هذه الرؤى عبر سياقها إنّما هي صياغات ذات أثر دلالي بوصفها دالةً معرفيةً، كما يمكن أن تشي تلك المقاربات بمضمونها إذا ما تمَّت قراءة النص على وفق فلسفة الشاعر التي جعل مسارها نحو ذاكرة المتلقي، وهي لاشك أسئلة فكرية تنحو هذا النحو.

كيف

أنمـــــــــــــــــــــــــــــــــو

وغدي يذبح يومي؟!!

والـــذي يفزع أحلامــــــي

نومــــــــــــــــــــــــــــــــي(٢)

إنها رؤيةٌ تستطبن رؤى أخرى فيها احتمالات متعددة فضلًا عن ارتكازها على الاستفهام المؤجل الذي يعقد مقاربته بين طموح شاعر يدعو إلى حوار الحضارات وبناء الإنسان وبين تهاوي الحضارات في الواقع الإنساني، لذلك يتجلى القلق بسبب انحسار الذات بين واقع مغيّب ومقيّد نحو المجهول بين ثنائية(الغد/ اليوم) و(الحاضر/ المستقبل)، الذي يمكن من خلاله تثوير العديد من الأسئلة، وفتح مجال الاحتمالات المتعددة وتقديم البدائل الفكرية، كذلك فإن المهمة الأساس إنما تتجلى في حمل رؤى هذا المغيّب القصدي وإن عزّ الإفصاح عنه، وهذا الأمر يأخذ من الحيز الذي يزيد من الإنتاج النوعي للنص الشعري عبر ما يؤكده الصوغ الشعري، وما يؤسسه المناخ الفكري الذي تلتقي فيه مكونات البنية الشعرية الأخرى، وبهذا فهي تأخذ مساحةً أفقيةً لتغطي مجريات فاعلة تكشف عن رؤية شعرية مغايرة.

وبهذه الرؤية الخلّاقة يتجسّد الدور الأكبر للمعاني التي يكشفُ عنها مظان الألفاظ التي تقف هي الأخرى خلف الدوال، ولايمكن الإمساك بفكرتها إلا بعد الإمعان في مضامينها، وربما يصل الحال بالفكرة الشعرية إلى أن تجعل المسكوت عنه القناع الذي تقف خلفه، ولعلّ واحدة من الأسباب المُوجِبة لذلك هي لجوء الذات إلى أن ترتكز على ثنائي الإفصاح الدال والمغيّب المدلّ عليه، وفي حقيقة الأمر أنّ سلطة الذات تمارس هويتها عبر الفضاء الشعري، وأن الاستدلال على ذلك يحتاج المزيد من الإمعان كي يفصح النص عن مدلولاته .

إن السمة الجلية في تلك الألفاظ الشعرية أنها تحمل آمادًا فكريةً ليخرج سياق النص من التجريد إلى سياق الفكر متجهاً في طموحه لإحراز المزيد من الرؤية، وغرس قيم السلوك الإنساني كي تحتكم التجربة إلى واقعينِ فني وحياتي من أجل تصحيح بعض المسارات وجعلها في الإتجاه الصحيح، كما يعضّد بعض المسارات

أو يستفيد من تساؤلاتها، لذلك يمكن القول بأن وجود المسكوت عنه في الشعر إنما جاء لتوسيع فكرة التنوع والتقاطع في المسارات الشعرية وبيان رؤى الذات على وفق مساري الوعي والفكر:

الأغصان تقذف جذورها بوجه
الثمار، فعلى مقربة من كـــون
الشحّ ثمة "وطن اليباس" يجثم
على مجاعة شاخة؛ لأن القاطف
دوباسٌ تتريٌّ ذو سلالة مغولية
متخمة بالخناجر اللاذعة: (٣)

فعلى هذه الرؤية ثمة تناقض بين جذور طاردة لثمارها في قبالة رؤية جاذبة لمفهومي:اليباس والشحّ، إذ تتجلى الثنائية عبر رؤية معنوية تفضي إلى نفور بين طبيعة وجود الأمكنة التي تتلاشى بفعل مؤثر سلبي ليذوي الإنسان بلا جذور يسهل اقتلاعه بعد محاصرته وقطع المداد الفكري والحضاري عنه، لذلك ظفرت الرؤية بمقاصد ورؤى فكرية جرت على وفق المتابعة والاستكشاف والرصد الدقيق للظواهر الفكرية والفنية وما يعتمل بها من إشكاليات متعددة وأسئلة وارفة تتقصى الواقعين الحياتي والإنساني وتكشف عن وجودهما لتحقيق بدائل أخرى تسير على وفق معطيات تسعى للبناء المفارق على مستوى الرؤية، وما لجوء الشاعر إلى إبراز هذه الثنائيات الضدية المضمرة منها والمعلنة إلا ليغوصَ في أعماق الظاهرة من أجل استنطاقها وإعادة تشكّلها على نحوٍ مغايرٍ ليلامسَ خيوط التألق بمشرطه المعرفي، ويؤكد المعنى عبر الإرهاصات الشعرية ويوظفها عبر تشكّل جديد موسوم بوعي

آخر إذ تتوسط الأفكار مضموناً يبث في المتلقي روحًا أخرى للقراءة من أجل تحقيق الجدوى الفكرية والمعنى المؤطر بالمعرفة؛ ليكونا في صالح الراهن الشعري لذلك "أن مطمح أي مقاربة نقدية أن ترصد العناصر المكونة للنص، تحللها، تفسرها، تؤلّف بين تكويناتها في بناءٍ يستطيع المتلقي تبينه، واستيعاب مضامينه، مضمراته، فهم معنى الأدب، فحواه التي تحقق له أدبيته "(٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الوجود الشعري إنما يستكشف الحدوس الفكرية والنفسية فهما يتوالدان ويعيدان إنتاج أنفسهما، لذلك فالذات القارئة تدرك مديات النص الشعري بما ينطوي عليه من هوية، وبما يمتلكه من فاعلية مؤثرة تؤكد الإدراك لتجليات الفعل الشعري وتدعو إلى استنطاق قراءات أخرى على وفق سيرورة القراءة بوصفها أنساقاً ذهنية وهاجساً آخر لن يقف عند حدود السؤال، بل يغرس في قضايا النص تحولاته وتداخلاته من أجل كسر آفاق التوقع التي تبقى في بنية النص ليمارس الوعي فعل قراءته، لهذا يتجلى الفعل الجمالي الذي جاء نتيجة استقراء العمق المعرفي وادراك مضمونه الدلالي بما أفرزته الرؤية لتؤكد أنَّ ثمة مخاضًا معرفيًا ينطوي على محاولات متعددة تؤدي إلى مثير معرفي واستجابة فكرية تكشف عن آيقونات وتساؤلات يبثها التشكيل الجمالي، وتتوج بها التمثلات الذهنية التي انطوت عليها الذاكرة.

ولعل الكفاءة التأويلية تكشف مراحل إدراك النص لأبعاده المعرفية فضلًا عن تطوره الجمالي، لذلك نجد الإحالات الشعرية والمؤشرات الفكرية قد تجاوزت هاجس المحاورة وصولًا إلى تقصّي ملامح شعرية تتماهى مع البعد الفني، ليدلي النص برؤاه عبر هذه المنظورات المخزونة في الذاكرة كيما تتجلى السبل للنهوض بالفكر والوعي وتحقيق ممكناتها، وكلّ ذلك يودعه الشاعر في نصّه عبر متضادات

غير معلنة ومفارقات تكشف انهمام الذات نحو غدٍ آخر يحمل معه طموحاته ويترجم رؤاه.

كلنـــــــــــــــــــا في "بقاء غير معلن"

نتـــــــظر شريـــــــعة الـــــــــــــــــــباب

المفتوح؛ لنغتسل من جلباب

الحكمة الموصدة(٥)

فإذا ماضيّعَ الإنسانُ مساره عن غفلةٍ ضاعت عليه طرق الحكمة وشرائعها وراح يسير في التيه فاقدًا مضمونات تلك الحكمة وقوانينها التي تُعد خارطة الطريق له والسور الآمن لوجوده، لذلك فإنّ الشاعر قد ذكرَ أفكاره ومعانيه عن وعي وقصد، لذلك بادرَ إلى ذكر ثنائيات مضمرة على المتلقي كشف السبيل لترجمتها حيث إنّ دلالة الألفاظ تتسع باتساع الأضداد، لذلك يُعدّ التضادُ فناً يلجأ اليه الشاعر لإبراز العمل الشعري وتغطية جوانبه، مصداقاً للرؤية القائلة "إنّ الأشياء تزداد بياناً بالأضداد "(٦)، إذ للتضاد فاعلية في إبراز المعنى حتى صار وسيلةً لإيضاح الأفكار وبيان معانيها من خلال تصادم الأفكار المتضادة وتلاحم رؤاها، ولا يخفى أن تضمين الشاعر لها إنما هو مستمد من أن التضاد سمةُ الوجود، وأن الضد يكشف مقدار الضد الآخر ويبرّز فاعليته وجدواه وحدوده، لصناعة معنى آخر عبر تفاعل فكري أو معرفي أو تأويلي أو دلالي، لذلك فالتضاد بنية تتضافر فيها الرؤى والأفكار والمعاني لإنتاج نص زاخر بالرؤى وتوظيفها في سياق النص من أجل اتساع آفاقه، لذلك ارتسم البحث على أن ثمة دلالات ظاهرة وأخرى مخفية وكلها تنتج دلالات متقاربة في المعنى "والمبدأ الأساسي في هذا التيار هو الرؤية الثنائية المزدوجة للظواهر وإدراج هذه الظواهر في سلسلة من المقابلات الثنائية

للكشف عن علاقاتها التي تحدد طبيعتها وتكوينها "[7] بل يذهب أحدهم إلى أنّ النص الأدبي لا بدَّ أن يشتمل على "التعارض الضمني، إذ بدون تناقض لا وجود لمجموع نسق من المفاهيم، ولا وجود لمجموع نسق من الدلائل "(٨) لتنمو جميعها في فضاء النص عبر رؤى متضادة.

إن لــــــــم تكن لديك دورتك
المقلوبة الأولــــى ، ستأتيك
حتماً " دورة مقلوبة أخرى " ؛
لأنّ بداياتنــــا دائماً منتهية[9]

إذ بين (البداية/ النهاية) مشوارٌ ينحو نحو الضياع طالما ارتكن المرء إلى الدعة والسكون، ولا شك في أن التضاد يأخذ أثره في النص لأنّه يحملُ هواجس الشاعر في صورةٍ واضحةٍ تحمل شجن النفس وربما طموحاتها لذلك فهي القادرة على إيضاح الكثير من رؤيته ومآلاته، وأن الشعر ينمو نمواً متصاعداً من خلال التضاد فضلاً عن أنه منتجٌ مميز للشعرية لأنّ "سر الشعرية هو أن تظل دائماً كلاماً ضد كلام، لكي تقدر أن تسمّي العالم وأشياءه أسماء جديدة، أي تراها في ضوء جديد"[10]؛ كي يزدان النص توهجاً كون الرؤى تتصادم وتتقاطع وتتوازى، ولا بدَّ من النظر في بواعثها بل لا بدَّ من النظر في الأدوات الفنية المحمّلة التي جادت بالتعبير عنها، ولا شك في أن ثمة صراعات متقاطعة تدور في دواخل الشاعر أدّت إلى إيرادها من أجل إسباغ النص بفاعلية ملامحه؛ لأنَّ النص يحملُ المعنى وضده، ويحملُ ما يريد قوله وما يجب أن يكون فيه حتى يتم تمثّل ذلك، والذي يتأمل مسار شعر الشاعر يجد ذلك جليّاً من خلال الصراع المحتدم في نوازع النفس والعزوف عن غيرها فبعض الدلالات تمارس المواجهة للخروج من شرنقة الذات ومحدداتها، وأخرى

تؤكد اغتراب الذات وانحسارها بين الانطوائية والانغلاق والتوتر والصراع النفسي، وهذا ما تكشفه الأفكار وجدليتها عبر بلورتها في المجاز والرمز والمفارقة؛ لذلك تتحكم الذات المتفردة في غرس التضاد من أجل بث الصراع وبيان التجاذب والتنافر اللذين يقفان بين مآلات الواقع وبين أفكار الشاعر الفلسفية ورؤاه في النص الشعري، لذلك فالتأمل يقع ضمن حيز الشاعر وكذا التضاد الذي يغرسه بعدما يكرّسه بالتجربة والملاحظة معززاً إياهما بمعطيات الاحساس والرؤية باثاً فيهما فكره الفلسفي ومزيد من الحساسية واليقظة الفكرية، والمتأمل في الأفكار والمتعمق بالمعتقدات الذاتية للرؤى يطّلع على الصراع لبيان جدلية الحياة مع الآخر.

لملم خريفـــــــــــــــــــــك

ما أمرك

وانزع عن الأصفاد نحرك

أزرى بك الصفصاف لـــــــمّا غصنُه للشُح جرّك

ومشيت تتبعه فكان الغصن في الطوفان ظفرَك[11]

ويسير الفقد مع الذات طالما فقدتْ عزيزًا أحاط به الطوفان وليس لها سوى التمسك بالقهر لينتهي الضياع بـ(انزع عن الأصفاد نحرك) في مفارقة واضحة، وبهذا تُبدي الفاعلية الشعرية أثرها وهي تبحث عن الذات، وترسيم الذاكرة التي تحوي في مجملها خطابات تنتمي لروح الإنسان وقيمته وتختزل كل مطالبه وطموحاته لتبقى في الذاكرة الإنسانية البعيدة ليستطيع الإنسان إيقاف الضياع من عالمه المحدود واللا محدود ، وبهذه الرؤية يتشكّل الانحراف الممتد على أكثر من تأويل، وهو يزوّد نصه بالمزيد من التناغم الفلسفي من طريق إعادة النظر في الوقائع النفسية من خلال تفسيرها أو مساءلتها أو كشف المسكوت عنه في هذه الوقائع،

كذلك أنَّ المفاتشة الشعرية في حقول النص الشعري تؤدي إلى الاقتراب من مسافة التوتر التي تلتقي فيها رؤى النص وفكر المتلقي، وهي النقطة الجوهرية التي تدعو للاجتهاد الملِيء بالتأويلات التي تنساب نحو المقصديات الدلالية بعدها تكون المفاضلة بين تلك التأويلات هي المعيار الدال.

التضاد وعيًا جماليًا

إنَّ لجوء الشاعر إلى التضاد إنّما أراد به إقامة توازن نفسي على أن يتضمن التوازن حلقات الصراع، بل اصطدام الوعي مع نهج الواقع هو ما يجعل إيراد التضاد واقعًا مطلوبًا، وهذه العلاقة إنما تكشف طبيعة متطلبات الوعي ومآلات الفكر المتوقد لكشف التأقلم والاندماج وكشف محاولة التمرد لمصارعة الواقع وضرورة الموازنة بينهما، وربما يقع هذا الإجراء لكشف تناقضات الواقع نفسه وأثره في الذات كي يحققَ التضاد حظّه لأنه انعكاس بين أنا الشاعر والأنوات الأخرى.

لذلك تبرز الضدية في علاقات أخرى بين (الأنا الشاعرة) والأنا الأخرى المتفاعلة مع الأنوات الجماعية وتتماهى الأضداد لكشف الحقائق التي تؤكد الرؤية، على أن بعض التضاد قد كشف الحقائق بطريقة ساخرة رافضة للسلوك المتناقض في الواقع، لذلك يدخل هذا الخطاب في مواجهة مباشرة وفي مقابلة بين المعاني والألفاظ، إذ تسهم المتقابلات التضادية لتكريس الإحساس بالتناقض، ويكون عبر التضاد، وهذه الخطوة تكرّس الوعي وتوقظ التمرد على الحالات غير المرغوب بها فضلاً عن الصراعات والتجاذبات وما يتبعها من حالات أخرى لذلك كانت تجربته تتماهى وراء الباعث المثير الذي تتوهج في ضوئه الاستجابة، وربما تتقد من أجل تحفيزه وإنارته بحسب ماله من علاقة بذات الشاعر نفسه التي تشظت بفعل الواقع .

لذا أفضت رؤيته المتحفّزة لمعرفة الواقع، وما يلتبس به، ويجعله يتخذ موضعاً وواقعاً يوازي عالمه الفكري والنفسي لتأتي تجربته مصداقاً لما يعانيه، بل تُعد تجربته المرآة العاكسة لفكرته المحمّلة بالتضاد والتجاذب وتحقيق الرغبة في البوح والإفضاء لخلق مسحة جمالية.

المنطلـق ليـــس أولاً دائماً،
فربمـــا سبقـــــه الختام(١٢)

إذ تتجلى رؤية أخرى بين(المنطلق/ الختام) ليكون في الختام المنطلق الأول، وبهذا فالأمل يحدو نحو هذه الرؤية؛ ذلك أنّ الملامح الجمالية قد استندت إلى منظومتي اللغة والبلاغة لتغطي ملامح النصوص إذ " لاحظ (لوتمان) أن فكرة الجمال لا يمكن أن تنحصر في الصورة البلاغية التي لا تشغل سوى مساحة محدودة من النص المنظم، بل ينبغي اكتشاف الوظيفة الجمالية للبنية النحوية بشكل يتيح لنا رؤية حركة النص بكثافته النشطة الفاعلة كلها "(١٣)، لذلك كانت الطاقة الشعرية تفضي إلى تحقيق أفق قرائي جديد لمزيد من المراجعة الفكرية والمعرفية، وأنّ التأملات والتنظيرات في سياق النص لها القدرة على الاستنباط والتحليل؛ لذلك اتسم مشروعه بأنّه النواة الأولى لولادة وعي جديد يحمل في جيناته مدلولات ومفاهيم ورؤى، وجعـل إنتـاج المعنى قائمًا على فاعلية القراءات التأويلية لينتهي إلى أن الضابط الفني يحتكم للجودة لتجسيد الدائرة الفكرية للوعي، وأنّ التفصيلات الجمالية تتجه إلى الثنائيات ذات المحمول المعرفي.

ولم يكن المستوى اللغوي بمنأى عمّا يطمح فيه الشاعر لتحديد بيان المتضادات في النص الشعري، إذ تجلى فيه المستوى الدلالي كاشفاً عن بنية النسق اللغوي في حراك لغوي يتواشج حيناً ويتصادم كي تغدو شعرية النص متشحة بهذه الطاقات الجمالية والإمكانات الدلالية من خلال إيجاد علاقات وروابط بين الألفاظ ومعانيها، لذلك يمكن القول "إنّ الشيء الطبيعي عند الإنسان ليس اللسان الشفوي بل مَلَكَة إنشاء اللغة' أي نظام من الإشارات المتميزة يرتبط بأفكار (بمعان) متميزة"(١٤)، فضلاً عن أنَّ لغة الشعر عند (كلنث بروكس) هي لغة المفارقة التي تجعل الخطاب

الشعري غامضاً وساخراً ومتوتراً[١٥] عبر إيحاء يشي بالمزيد من الإشارة والتلويح؛ لأنّ طاقة الخطاب الشعري تكمن في فضاء المدركات وفي ترتيب الأشياء بل إن التضاد الفاعل هو من يجعل اللغة في توتر ذلك " أنّ اللغة نظام من العناصر المعتمِد بعضها على بعض، تنتج قيمة كل عنصر من وجود العناصر الأخرى في وقت واحد "[١٦]، فضلًا عمّا ترسّخه العلاقات الداخلية في النص الشعري التي تشتمل على التحول والتغير والمراجعة، وهذا التضاد هو نفسه يخلق روحاً شعرية عبر اللفظة التي تغرس فيها روح المغايرة، وأنَّ التضاد والاكتشاف والتساؤل بمجموعه يبث الرؤى الحسية في اللغة.

ومما تجدر الاشارة إليه أنّ التضاد يكاد يؤكد حرية الفكر ومدّه برؤى جديدة وإنما ينتج ذلك من تصادم الرؤى وتناقض الأفكار.

إلى الأمس أرقب حتى أتى

حسيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــساً

فطـــــــــــــــــــــــــــال عليّ شِتا

وأسلبني دفء هذا الرفـــيف

وطوقني بردهُ

وعـــتا[١٧]

فكيف لمرتقبٍ ينتظر الغد أن يحولَ دونه الموج القاهر ليحيل وجهته نحو الأمس، وبهذه الرؤى المتضادة المضمرة تتجلى حزمة الأوصاف الجمالية والموضوعية اللتين كانتا قد وجدتا سبيلهما إلى الرؤى المعنوية في النص، وأن تكريس الأفكار الشعرية قد دخلت مضمار مقاييس التفاضل الجمالي لإحداث الرؤيتين العقلية والحسية، وأنَّ ملامح فضاء الاختلاف تهيمن على فضاء النص بمفردات شعرية مختلفة لتوظيف البعد المجازي، وبهذا فإنّ حدود الاختلاف يرسمها الأفق بين الطبع والجودة، وأنَّ

بلاغة النص تمثّلت في الإطار التحليلي وهي من تفضي بأسرار الصناعة الشعرية، وأنَّ الأوصاف الدلالية تتعاضد مع الجمالية الشعرية لترسيخ فاعلية دلالية تكشف العلاقات الداخلية للنص عن بؤرة تتجمع فيها الأفكار والرؤى وتجتمع فيها المتناقضات لتكون المعادل الموضوعي للذات.

ومما يعضّد القول أن الثنائيات توحي بما وراء المعنى وهي الدوال المضمرة خلف المعاني، وأن تحريكها يدفع النص إلى المزيد من إنتاج الدلالة ذات البناء اللفظي والدلالي والتركيبي، ولا يخفى أن التضاد البلاغي قد أخذ حيزاً في فنه الشعري من خلال إقامة التقابلات لإنتاج الدلالات، وهي نفسه تجعل المتلقي يدرك المدى المقصود في المعنى، لذلك سعى الشاعر إلى تكريس المتقابلات بطريقة بلاغية وهي الساندة لكشف التضاد والارتباطات والتداعيات الفكرية أو النفسية بل تبقى في حالاتها وسيلةً لتطهير النفس ممّا علقَ بها، لذلك سخّر الألفاظ التي تساعد حروفها على التواصل والالتقاء نتيجة انسجام هذه الحروف من الناحية الصوتية، وهذا التآلف والتناسق هما من يجعل التعاضد قائماً بين اللفظ والمعنى، وأنّ بنية اللفظ الصوتية إنّما تتمثل في انسجام الأصوات المكوّنة له وتآلفها- وقد اهتم الدارسون العرب المحدثون بهذه الخاصية، إذ يبقى اللفظ بين الاتساع والانكماش على وفق المعطيات النفسية

أوجعتـــــني جدّتي بأسنّة مَثَلٍ عقيـــم، لم
يطعم سامعيه غير مرارة عتيقة، بدعوى
[أن الشمعـــــة مضحية؛ لأنـــــها تضيء
عتمـــــة الآخرين على حساب ذوبانها]،
فكلـــــما تصـــرخ هــــذه الأسطـــــورة في
أذني ينتابني " وجوم سعيد " (١٨)

وبين(النمو/ الاضمحلال) و(الاضاءة/ العتمة) و(الوجوم/ السعادة) يترجم الشاعر ماضيه وحاضره الذي ازدحم بالأوجاع والأماني، أمّا الأحلام التي غامرَ من أجلها فلم تكن إلا قطافًا غير مثمر، إذ ما يمكن قطافه أنّ حصيلة التفاعلات بين ذات الشاعر والواقع وما يحصل عنهما من توترات يمكن بوساطتها كشف المشاعر والأحاسيس والأفكار التي تمنح القصيدة بعداً آخر، وبهذا فإنَّ ما يفرزه الواقع من تناقضات يمكن تمثيله عبر المتضادات لما فيه من تضاد، وأن التلاحم بين البعد الذاتي والبعد الجمالي قائمٌ، لذلك فللتضاد أثره في الشعر، وهو يكشف عن الدوال المتواريات والمخفيات، كذلك أن الإعلان عن شيء والإخفاء في مضمرات نفسه عن أشياء قد تؤكدها المتضادات، وبهذا تجد المؤشرات الدلالية تفضي إلى اكتناز توترات نفسية تحمل في مضمارها عمقًا فكريًا، لتحمل معها تجربة مكتنزة بالتنوع وبالمواقف الشاملة في الحياة، لذلك فإن شعرية تنامي الرؤى الخفية تعمل على تعميق المدلولات وتكشف عن دلالات جديدة متسمة بالجدة.

ومن المفارقات أن التناقضات أحياناً تتساوى في خصائصها، إذ مفردات الشاعر تحمل في ذاتها نواة التضاد، ويدلي نصها بإضافة هامش دلالي آخر يحتوي على طاقة تخييلية لكشف إشارات التضاد وأخرى بتوظيف المفارقة نفسها لتكون صورةً أخرى للتضاد الضمني، وبموجب ذلك فإن الشاعر يبحث عن نقطة التقاء بين فكرتين أو صورتين منحا النص سمات الذات وشعورها المؤلم.

" شحوب ميمون " يطارد حـــــــــوافر
المستقبل؛ فالماضي لم يحن بعد،
والحاضر ما زال يقطن في جوف
الخطوات، أما الدروب فمسالكها
بكْر تتأبطها خطوات مسنّة: (١٩)

تشكّل الثنائيات الضدية بين(الماضي/ الحاضر) منطلقاً قرائياً لتحليل الأفكار وإبراز الرؤى زيادةً على تحليل أيّة ظاهرة أدبية وفكرية يغرسها الشاعر في نصّه الشعري، ولذلك تُعد بنيةً موازيةً تحمل رؤى الأفكار المتجادلة والمتجاذبة لخلق مساحة تفاعلات نفسية، وتجاوبات فكرية منبعثة من تجربة يؤسسها عمق الوعي، ورسوخ الفكر وتتحكم في صناعتها العلاقات الموجودة بين العناصر المتقابلة التي تثوي وراءها دلالات كثيرة لتشكيل المعنى الجديد عبر كثافة تقابلية، بل يمعن الشاعر في خلق مسار يجمع بين الدوال والمدلولات مع وجود الافتراضات التأويلية الظاهرية والمضمرة، لتتعاقد كلها في مواجهة تشظي الذات.

لقد تأسس النص على المعاني المتقابلة في رفد المعنى وبنائه وتشكيله حتى تبيّن نقائضه ومتضاداته أثر الألفاظ وما تجود به المعاني من حمولات معرفية تتوتر فيها الأفكار والصياغة، لذلك تخيّر ألفاظه وأجاد في خلق علاقات ضدية تثري النص وتمنحه بعداً حداثياً، وعمل في بعضها على كثافة التماثل الصوتي وإنْ اختلفت دلالاته من أجل إيقاظ المشاعر المتآلفة والمختلفة وإبرازها في صورٍ جمالية، كما أنَّ التشذير البلاغي يكسي المعاني ديباجةً فضلاً عن وجود التماثلات الصوتية مع إيقاعها الداخلي في التناغم لإغناء دلالة النص، وكذا بنية النص الداخلية والخارجية لها علاقة بكشف الخطاب الضدي وتجسّد المعنى عبر إنتاج الدلالة ،إذ إنّ " التحول الدلالي يُعدُّ بحق إحدى الطاقات المحركة للأدبية "[٢٠]، ولذا فإنّ دلالات النص هي التي حرّكت أواصر الكلمات وفعّلتها لتنهض في ضوء المعاني؛ لأنها تؤطر المبنى الشعري وملاحق متبنياته من أجل ترشيح معنى آخر يرجحه النص الشعري.

[الكفار مؤمنون]؛ لأن حبّ
الوطن لم يعد إيماناً في ظلّ
وطن يأكل أبناءه ويوزّع حُبّه
على المغول وتفترش صحنَه
الغربانُ القديمة التي لا تأكل
غير حبّات عيون الموغلين
بحبّــــــــــه، فالناسخ جـــــــــــــــــــرّ
حكــــمه:أنّ خيانة الوطن من
الإيمان، فهي "خيانة مشروعة"[٢١]

فتناقض الواقع الذي يشهده الإنسان في زمنه الأخير يترجم هذه المآلات التي غدتْ حقائق يؤمن بها بعضهم على كثرة ذنوبه وخطاياه حتى أصبح يَعدُّ المنكر فضيلةً، ولا يخفى أن مبدع النص قد رجّح كفة العناية المجازية من أجل الكشف عن ذات شعرية منشطرة بين الأنا والذات وبين الذات والآخر، إذ إنّ "(الأنا – الآخر) ثنائية تضرب بجذورها في صميم الوجود الإنساني، فالإنسان لا يعرف على وجه الحقيقة سوى ذاته، فتصبح الذات هي مركز الوجود ومحور كل حقيقة ومصدر كل معرفة، ومع أننا مقتنعون تماماً بوجود ذوات أخرى مشابهة لذواتنا وأن لها وجودًا حقيقيًا إلا أننا على الرغم من هذه المعرفة فإننا نميل إلى اعتبار وجود الذوات الأخرى أشبه ما يكون بوجود الظلال بدليل أننا ننسب إليها وجودًا نسبيًا بالقياس إلى وجود الأنا التي نعدها حقيقةً مطلقةً ونعامل الذوات بوصفها مواضيع "[٢٢]، ولذا فقد كانت تدور الأحداث حول قطبية الذات، لذلك أسهمت ثيمة التضاد في زحزحة الثوابت الفنية، من أجل بيان انتقالات الذات بين الثابت

والمتغير، حدّد الشاعر مسار شعريته نحو التغيير، إذ إنَّ "الاختلاف المكبوت يجدد مساره الوحيد في الانفصال عن الذات نفسها، في انفصام عراها، وانزياحها النهائي عن اللا شيء، فالذات تنهض بإلغاء الذات نيابة عن العالم، ولا بدّ أن يمتد هذا الإلغاء إلى العالم ذاته "[٢٣]، وبهذا مثّل النص الشعري قراءةً واعيةً لكينونته الفكرية تاركاً للرؤى الامتداد في المساحة الجمالية لتكون الانعكاس الحقيقي لرؤى النص المعرفية الرصينة، وبهذا فإنّ طروحاته المتعددة كانت دليل وعي تتلاقح فيها أفكاره في عوالم إبداعية، وهذا ما يعززه الواقع الشعري؛ ذلك لأنَّ الشعر "ليس قبولاً ولا استسلاماً، ولا مهادنة، إنّه تساؤل دائم ولهيب متسعر، يزداد حجمه بقدر اتساع أفق هذا التساؤل "[٢٤]

في الأشكال الهندسية تغيب
الحقيقة، فإيـــــاك أن تستقيم
في خط مثلث أو تنزوي في
مربع أو تستطيل خطواتـــك،
فـــــلا تـــــرضى إلاّ فــــــــي
" دائــــــرة مستقيـــــــــــــــــمة " ؛
لأن الكون أحدب:[٢٥]

وتكتمل تلك التناقضات عند الذات التي لا ترى في الوطن سوى كلمات يمكن أن تتلاشى إذا ما أريد لها؛ لأن الحقائق المزيفة تسير في مجريات التأريخ والواقع الإنساني ويمكن للذات المهشّمة أن تؤمن بها، وهنا تنبجس فلسفة الشاعر عبر طرح علمي يثبت وهْم الحقائق وزيف الواقع، وأنَّ الضياع سيبقى السبيل الدال للذات التي غيبّت الوطن فغابت معه، لذا فالنص يكشف ثنائية متعددة الأبعاد ويشحنها بالضدية كي تكون مؤهلةً؛ لأن تحمل تضاد المعنى واختلافه وهو نفسه

يكشف توتره، لذلك شكّلت تلك الثنائيات حيزها بعد أن كرّست وجودها في البنية الداخلية والخارجية وأسهمت في توصيل المعنى عبر إيحاءاته الدلالية لتترك أثراً جمالياً، لأن الشاعر تعامل معها برؤية شعرية واعية ووعي عميق من أجل جعل المتناقضات تتفاعل وتصطرع لإنتاج مدلولات أخرى، فهذا ليفي شتراوس "أقام بحثه على أساس التضادات الثنائية في كل مناحي الحياة، بهدف الوصول إلى بناء فكر الإنسان من خلال تعامله مع الأشياء والكون والحياة، وصولاً إلى التعارضات الثنائية التي تدفع الإنسان إلى إيجاد حل متوازن بينهما "[٢٦]، لذلك عبّرت بعض الثنائيات عن انحسار الذات ومحاكمة الواقع، وقد غلب على نصوص الشاعر الفكر الجدلي بين عالمه الواقعي وعالمه الذي يرجوه، لذا فقد أوردَ ثنائياته عبر تركيب ذهني ذاكراً موقفه الفكري من الحياة والكون في حركة جدلية فهي رؤى تجيش بالمتناقضات المغيبة والمعلنة ذلك "أن الصراع في الأدب هو تصوير الأزمات التي تتمخض عن اصطدام قوتين متضادتين: إحداهما موضوعية والأخرى ذاتية "[٢٧]

أسملتني العيـــــــــــــــــــــــــــــــــون
شـــــــــــــــــــــــــــــيّاً
فشـــــــــــــــــــيّا
وسقتني العمى رموشي رويّا
وانحنى الدرب كي أضلّ مسيري
نحـــوه
أمضي
ثم
أهوي
إلـــيّا[٢٨]

وبين بصره وبصيرته يتجلى النكوص والانكفاء، وتشرع الثنائية المضمرة نحو فلسفة الانطواء على الذات، لذلك من المؤثرات الدالة أن تخصيب النص واحدة من مقصديات الكتابة الأساسية، وهي من تشي لترتكز على منظومة واضحة توزع مساراتها في سيل متدفق يقتضيه المعنى ويتشرّب به، وفيها دعوة لاسترجاع اللحظات الشاخصة لكتابتها، وإنما كان ذلك من خلال امدادها بالمديات الخيالية الداعمة لمد الاستلهامات الفكرية، ومدّ المضامين الجمالية بالرؤى لتتشكّل الرؤى والأفكار من هذه الرؤى الجمالية ويكون النص واضحاً بعدما تآزر المعنى الدلالي مع تلك الأبعاد المعرفية، فكان النص زاخراً بتلك الماهية، وفي ضوء هذه الثلاثية تشي تلك الهيئات إلى جدلية مكتنزة بالحضور، ومنها تحقق لنمط الأحلام المشروعة لما فيها من مصاديق تؤطر شاعرية الشاعر، كذلك فإنّ لتجربته الحضور على مستوى الأداء الشعري والمضامين الشعرية، لذلك شهدنا تمردًا في تجاربه الشعرية من أجل تحقيق غايات فنية إبداعية وجمالية زيادةً على تحقيق الغايات الذاتية، لأنَّ " الشعر يحقق غاية نفسية ذاتية زيادة على الغايات الأخرى، وهي غاية منسجمة مع ذات الشاعر وتستجيب لطبيعة تكوينه النفسي الرافض، والطموح إلى الأفضل، وبين واقعين تتأزم الذات الشاعرة، تتكاثف في أعماقها الطاقة الوجدانية والشعورية مما يتطلب تفجيراً يعيدها إلى حالة الاتزان، وهذا التفجير لن يكون سوى عملية الكتابة " (٢٩)

وبهذا فإنَّ الدوال المعبرة عبر صياغاتها المجازية تسوّغ وجودها من خلال جهد تأملي فاحص يرتكز إلى منهجية تعدد القراءات لتحديد مستويات التعبير التي تدعو إلى ضرورة التعاطي معها من خلال إرساء دعائمها الإجرائية لتأسيس الأنساق المعرفية، وإنتاج صياغات مغايرة، قد أخذت نصيباً كبيراً لتأكيد لحظة التأمل وتأطير القيم الإيجابية

التضاد والسؤال الشعري

إن التعددية اللا نهائية مع تركيباتها اللا محدودة أنتجت فضاءً رحباً تتعدد فيه الانتقالات التفصيلية فضلاً عن الملاحق الفكرية التي تُعدّ ساندة للعمل الإبداعي، وهذه التعددية إنما جيء بها كي تجسّد احباطات الحياة وما تعمق فيها من الهوة وما تركه التشاؤم في معانيها، ولعل الصراع النفسي هو الآخر الذي تكرّست فيه اسقاطات الواقع وهو نفسه من يفصح عن أعماق الذات، وهي تعيش بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون ، لذلك تزدحم الرؤى من أجل ترجمة الأفكار والأحاسيس، ويعمل الشاعر جاهداً على ترجمة ذلك عبر فلسفة تتأرجح فيها الأضداد والمتناقضات فكان منها أنّه يبرّز تلك الثنائيات على أنها وحدة متماسكة في بنية النص الشعري تحمل رؤاها في قبالة رؤية ضدية عكسية بوصفها فعلًا مستمرًا.

لذلك فهي تنمو في النص لتشهد حضورها من تناقض وجدل إلى أنْ تصل إلى قلق الاسئلة، وتقدّم تصورات الشاعر وإشاراته لأفكاره المتضادة التي استغرقت مساحةً أخرى في النص الشعري معززةً بحساسية الهموم اليومية، وبهذا قدّم تياراً فكرياً ثقافياً مضاداً يعمل على إظهار قيم جديدة ومفهومات أخرى تحلُّ بديلاً عن قيم ومفاهيم رسّختها السلطة الجائرة وأشاعتها عبر نفوذها ؛ لذلك نجد نصوصه حيّة متجددة تنضحُ بالتمرد وتتّصفُ بالكشف عن شعرية هادفة.

لا تلتفـــــــــت لخطواتك الآتية،

ولا تستبق خطواتك الماضية،

ولا تستعد لخطواتك الحاضرة،

فكلّها " تكـــــــرار فـــــــــردي " :(٣٠)

وبين الطموح والأمل والنكوص والانطواء تتعثر الخطوات للسير في دروب التشتت لينتهي به الحال إلى نتيجة واحدة، وبهذا فإنَّ" مرجع العمل الشعري ومقياس تقويمه ليس في الواقع أو الحقيقة أو الصواب، بل في شعريته ذاتها، فليس الواقع هو الذي يُحوّل الكلام إلى شعر بل (الفن) هو الذي يحول الواقع إلى شعر، أي إلى لغة، ومعنى ذلك أنّ قيمة العمل الشعري لا تكمن في مدى كونه واقعيّاً أو حقيقياً، أي في مدى كونه يمثل أو يعكس، وإنما تكمن في مدى قدرته على جعل اللغة تقول أكثر مما تقوله عادةً، أي على خلق علاقات جديدة بين اللغة والعالم، وبين الانسان والعالم، ومن هنا لايمكن فهم العمل الشعري الفهم الحق بالعودة او بالاستناد إلى الواقع، بل بالعودة أو الاستناد إلى الطاقة التي يختزنها لتكوين مثل تلك العلاقات "(٣١)

لذلك كانت العلاقات الضدية أداةً فاعلة في جلاء مكنونات النص الشعري الداخلية، وتوهج إشعاعاته الجمالية مشحونةً بالايحاء وكانت مصداقاً لحالات فكرية متصارعة تدور مآلاتها نحو العالم والأشياء، وبهذا يكمن الذهن المتوثب على وفق مبادئ الفن الجمالي لينغمس في الرؤى حاشداً أدواته الفنية من أجل إبراز رؤى لا تتضح إلا عبر الجدلية التناقضية التي تتعاقد مع مجموعة من الروابط الدلالية والبنائية وبدورها تسهم بشكلٍ أو بآخر في إنعاش روح النص، الذي يتعزز بالدفقة الشعورية مضافاً لها الومضة الفكرية التي تتواشج فيها الصور الجزئية وهي تتآزر مع مكونات النص الأخرى لتكون بؤرة النص ومرتكزه، وما أكده الشاعر يترشح عبر الاستفهام الذي أعطاه ضخاً من التوترات ومزيداً من هواجس الخوف من المجهول، لذلك فهي انقسمت على نفسها إلى قسمين أولاها تحمل رؤى إيجابية تدلُّ على الاستمرار، وأخرى تدلُّ على التلاشي والأفول، وبهذا عَمِلَ الشاعرُ على أحداث

انسجام بين المتباعدات من الصور والمتقاربات لكشف بيان الاستفهام ونوعه، هل كان ضمنياً يراد منه أمر التعجب، أو كانت طروحات ضمنية تريد النفي المتضمن معنى الاستفهام، ومن أجل تجسيد ذلك فقد تضافرت رؤى المجاز والكناية في وعي حركي يتحول فيه الوعي من سكوني إلى حركي، لذلك فعّل الشاعر شعرية الصورة، وانتقلت من حالها الذهني إلى حالها الحسي بوصفها أداةً فاعلةً تكشف معنى المعنى.

حين تنتهي البدايـــــــــــــات،
تـــــــبدأ النهايـــــة، هكـــــــذا
نعتـــــقد جزمـــــاً، لكـــــــــن
الحكمة المفتوحة تقتضي
أنـــــــــــــــها " دورة مقلوبة " : [٣٢]

هذا الترسيخ إنما يؤكد حاجة الذات إلى الاطمئنان في التعبير كي لا يتفاقم الحال، ليصل إلى تغييب الذات لتعيش في تهويمات ضالة؛ لذلك يتأكد السعي لهذا الاستدعاء، ولعل هذا الأمر في أيسر حالاته فيه دعوة للقراءة العميقة، وأنَّ هذا المسكوت عنه لن يتحول إلى مؤشر سلبي طالما يحفّز طموح الشاعر وطموح المتلقي التي يحوزها القارئ الممعن في قراءته.

إن فكرة (المسكوت عنه) في النص الشعري فكرة تلتقي فيها الرؤى بين المنتج والمتلقي، لذلك سيبلغ الأمر تخومه متى ما تحقق اللقاء بينهما في مساحة النص، ويوشك النص أن يدلي بمداليله طالما يمدّه (المسكوت عنه) بمضامينه ورؤاه، لذلك توزعت مرشحات (المسكوت عنه) لتحوي بعض مضمرات الحزن، الذي لا يستطيع النطق به، وهو ما يتوجب أن يكون ضمن الانحراف الفني الذي يراد به أن يكون شاخصاً في مضمار الشعر المغيّب لا الذي يرتجى القول به أو العمل به،

لهذا فمهما ترشّحت الأسباب والمسببات فهي لاتستطيع أن تنال مبتغاها لا في الواقع الإنساني ولا الحياتي بسبب عوائق قاهرة، ويبقى (المسكوت عنه) وليد الأنا الشاعرة والأنا الشعرية النصّية التي لازمته في العديد من الرؤى، وبهذا يعيش المسكوت عنه في جلباب(أنا الشاعر) وفي ملامح الغياب، التي فرضت على الذات وليس للذات إلا إبراز ما هو ضدّي كي تكشف مايحيط بها وما يتغلغل بأثره إلى الواقع؛ لهذا يتجه الصراع من أعلى الذات وصولاً إلى مرموزات مخفية في أثناء النص ليتجه نحو محمولات التغييب لتدلَّ على رؤيةٍ موسومةٍ بتجربةٍ مرهونة يكشفها الإطار النظري من أجل إثبات فاعلية التغييب المقصود، حيث يتجلى التغييب في أعلى صوره حين يشكّل واقعاً مضمراً، لذلك وشّح (المسكوت عنه) ليرتدي قناع الغياب أو قناع التغييب، حتى صار التلميح لهما هو السبيل من دون الإفصاح؛ لإن الإفصاح كفيل بإزالة آثار (المسكوت عنه) التي يراد له التغييب كي يجد صداه.

أيـــها الموءود

صمتاً في فمي

يشتهيك الجفنُ وســــــــــــــــــــــناً

فـــــــــــــــنمِ

وارتجـــل

ذاكرةً مثقوبةً

نــــــــــــزفـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــها

مـــــــــــــــــــــــــــــــــــــن

صوتـــــــــــــــــــــــك

المكمّمِ(٣٣)

ثمة نزوع خفي يهدف إلى إيضاح أثر السلطة في النزاع المخفي، وفي ذلك دعوة للخلاص ممّا يحيط بالذات الإنسانية وما علقَ بها، ولغرض استكمال قراءة الواقع المخفي يتجلى الظاهر في مقصدية المخفي كي يؤمّن الاستقراء الموضوعي لسيرورة ما يودّ غرسه في النص، وبهذا الفيض الكتابي ستكون نقطة الالتقاء بين التراكيب والجمل والفكرة في تواصلٍ مستمرٍ ويكون المضمون في ميادين الارتواء الفني، وتكون الفلسفة المنبثقة من تكامل تلك المشاهد هي إنما تمثل النضج الإبداعي وهو يردفها بمحاور زاخرة بالإبداع والخلق على أن يعزز مضامينها بشعرية عميقة لتكون مصدراً ينضج بالدفق والحركة، وتكون مرحلةً شاخصةً من مراحل إعادة التوازن إلى الذات، لذا فهو يَعمدَ إلى استكمال الملامح الرئيسة للنص الشعري، ومدّه بهذه الإمكانيات المتنوعة لتتلاشى الحدود الفاصلة بين مايريده الشاعر وما يريده النص الشعري.

أشعـــــــــــــــــــلْ
عيونَك في الدجى وامضِ
وافـــــــــــــــــــــرش
بخطوك توتـــــــة الأرضِ
القفـــــرُ أجـــــــــــــجّ ناظريه عمّى
ابصـــــــــــــــــــــرْ
فما وسعي على الغمضِ
ما زال ينبض بالشحوب لظى
وشحوبـــــــــــــك الميمون في غضِّ[٣٤]

إذ ينمو الأمل في الذات طالما هي على مقربة كبيرة من امتدادها وتفرعاتها وانتمائها، لذلك لم يرغب الشاعر في النأي بنفسه عن فكرته كي يستنير النص ويتحول من سياق أوّلي إلى سياقٍ قارٍّ أفضى مسكوته إلى نمو المغيّب ورسوخه، لذلك سار على وفق مسارين: الأول بث تلك اللواعج لتكون في مضمار النص الشعري، والآخر حمل أفكار الشاعر ورؤاه والحفاظ على هويتها من أجل قراءة عالم الذات، وتوجيه أنماط النص الشعري ومبتغياته لإظهار مواطن التغييب القسري الذي فرض وجوده على مواطن الذات وراح يمدّها بمواطن التغييب ، لذلك أدّى التنامي إلى بيان حالات القهر نحو الحضور والغياب، كذلك بانَ على العمل الشعري المزيد من المنعرجات التي حمـلت بعـض

سلوكياتها، والمزيد من احتمالاتها التي قد تضاعفَ الشعور بضرورة إيرادها، كي يتحقق التوازن بين ما تكنزه الذات وما يتم تجسيده في العمل الشعري، لذلك لا بدّ من تزويدهما بالمزيد من التفاصيل، وإذا ما أخذنا مقتبسًا شعريًا لبيان صنيع الأثر النفسي على واقع الشعر، فإن التجربة تكشفُ عن مسكوتٍ عنه فرض وجوده ليشكّل تجربةً أخرى قارةً في الوعي الشعري تكشف هي الأخرى عن حضور راسخٍ في الذاكرة، لذلك يمثّل المسكوت عنه الإضاءة التي لا يخبو توهجها، وهو ما يلحظه المتلقي من تشاكل الحركة في النص الشعري، ممّا يستوجب على القارىء أن يكشف روح المغامرة ويتدخل ليفكّ شفرات بعض المرموزات ويمسك بها وهي في سرب المحذور.

لذا يمكن أن يُعَدّ المسكوت عنه فاعلاً ثقافياً يحفّز الاستمرار، ويمكن تسميته بأنه تجربةٌ أو فكرٌ، يحاول الشاعر في سعيه أن يجعلهما على مقربة كبيرة لتضمين رؤاه وطموحاته معبّراً عنهما، ومستخلصاً الإفادة منهما.

وإنما يتجلى الأثر الشعري بفعل حركة المؤثر الذي يُخفي إشارات واضحة عمّا تمتلكه الذات، وبهذا يشكّل أحد محفزات المقولات الفكرية فضلاً عن مقولات أخرى تكرّس رؤى الواقع المخفي، وتقدّم رصداً لفاعلية مسيرته التي تؤدي إلى منطلقات معرفية كي تقصد السبيل نحو إنتاج خطاب ذي مقصديات يفضي إلى التلميح لا التصريح، كذلك أن موجهات الإفادة من هذه الثيمة الفنية إنما تكشف عن قصدية مضمرة تُريد للنص أن يجاري الأحداث ويتبعها بالتساؤلات ويحقق لها بعض الإجابات، بل يحقق لذاته بعض مبتغياتها ومقصدياتها ويضمن لها بعض الإجابات؛ ذلك أن المسكوت عنه يحمل فلسفةَ إعادة النظر، ويدعو إلى تعزيز الوازع الفني وصولاً إلى الاختلاف كي يحظى النص بالمعرفة الجمالية ليتشاكل هذا التأثير الحواري الهادف المكتنز في ذات الشاعر إلى رؤى في النص لينتجا محمولات معرفية وجمالية لإيجاد فاعلية خطابية جديدة.

كيف أحنو ويـــــــــــــــــــــــــــــدي
مـــــــعصم فأســــــــي
والذي يرقب ترحالــــــــــــــــــــــــــيَ
نفسي
والذي يـــــــــــــــــــــــــــــــــــــشربني
كـــــــــــــــــــــــــــفّ شفاهي
يرتويـنـي لـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــذّةً
كأســـــــــــــاً
بكأسِ
عطشي يغري فراقي بلظــــــاه
ويهيل التُرْبَ عن جـــــــــــــــــذريَ
غرسي

كنتُ قبل الريح يحدوني نشيدي

صرّني الريحُ تباريحَ لـــــــــرمسي

ها أنـــا

مقصـــــــــــلةٌ، رأسي فطامي،

لـــــوحها أمـــــي تناغيني لطمسِ(٣٥)

تتدلى الثنائيات عبر وحيها المضمر الذي يبيّن أن للذات حضورًا كبيرًا يتجلى في رسوخها العميق عبر التأريخ، كذلك أن هذا التشكيل البصري للأبيات الشعرية يوحي بمدى سير الذات في منعرجات الحياة ومدى انتصارها، وأن أجلَّ المصاديق الدالة على الأثر الذي يحدثه في النفس هو (المسكوت عنه) الذي بات يلحّ على الذات مما حدا به إلى تراجع القدرات الخطابية والانتقال بالقارئ إلى مساحات أكثر تفاعلاً وتجاذباً ليطلّع على الواقع النفسي للذات ولما يضمره الواقع ، لذلك لا نعدم وجوداً مقصودًا لتغييب الذات في ظل واقع يؤمن بالتغييب، لكنَّ رؤى النص الشعري ترفض مبدأ تغييب القارئ، بل تتقارب كلّ المسافات من أجل الانتقال به إلى الحدث الرئيس وتتهيأ كلّ السبل كي يطّلع بنفسه على مآلات الواقع الشعري من دون قيود من أجل تعريفه بمدى اشتغالات النص الشعري ومعرفة تطلعات الذات وما يعتريها، وهذا الاشتغال يحفّز إنتاج النصوص ويفصح عن ثقل معرفي واضح.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الدور الذي يجود به المسكوت عنه لم يكن تكميلياً، بل يُعد ثيمةً أساسيةً تحرك النص نحو ثيماته الأخرى ويستثمر الشاعر وجود المسكوت عنه من أجل استثمار ممكناته التأثيرية فيكون إبرازه عبر ثنائيات متضادة في الرؤى والأفكار، لذلك يُعدُّ الاتكاءُ عليهما أمراً ممكناً ولا سيما أنَّ الشاعر يغرسها غرساً مختلفاً ومشوقاً لثراء المشهد الشعري مؤكداً أداءهما المستمر في رفد النص، وإحاطته بمرتكزات متعددة.

وما مجيء (المسكوت عنه) إلا بسبب انحسار المسافة وقلة اتساعها بين ما يريده الشاعر وما يريده الواقع ، فما كان على الشاعر إلا أن يوسّعَ من مسار رؤاه، وأن يضيف توصيفاً يُغني فيه
دلالة نصه، ويمكّن تجربته من الإفصاح عن ذاتها بما تكتنزه من مرجعية ذات ممكنات تأثيرية.

إنَّ ثمّة ملامح رسمت هوية النص وكشفت عن فاعلية النسق الذي أودعه الشاعر في النص، ولعل الذي أودعها إنما أراد بها أن يربط بين علائق النص في كشف أثر الدلالة وبيان المعاني بسبب حضور مجموعة من الاشتراطات الموضوعية، وتغدو صفة الانسجام والاختلاف إنما تحددها الاحتمالات الدلالية التي يهجس المتلقي وجودها من أجل اجتراح رؤية أخرى وقراءة خاصة للنص الشعري.

هامـــتي
تعشق ألحان التأسي
فهي منذ الفأس تبحث: أين رأسي؟
والصباحات التي هامت بـــــــــــها
لم تزل تزحــــــــــــــــــــــــــــــــــف
من
يأس
ليأسِ!
آهِ يا صوتي: على (أيـــــــــــــــنَ)
تصيح!
فالذي يأكـــــل أوداجـــــــــــــــــــــــي
فأســي![٣٦]

تُدغم الثنائيات ضمن أسئلة فكرية وفلسفية وتصرّح بها أدوات الاستفهام التي تتضمن معنى النفي، فالحضور الحقيقي يتجلى بحضور الذات والمكان، ويتعزز وجودهما عبر تآلفهما واندماجهما، لذا لقد حال موج التعبير بين الأفكار والرؤى وبين البوح بها، وأوضح الشاعر الجدوى من غرس هذا الإحساس؛ لأنه لم يظفر من الواقع سوى بهذا الضياع، ولم يتسن له كشف ميوله لذلك بقي هذا الطوق يلاحق رغباته بالأصفاد، وأنَّ الكشف عن القضية المؤجلة لا يمكن أن يكشف عن الطارئ الشعري بل ليدخل حيز الحضور، وما مجيء المسكوت عنه إلا استجابة لأسئلة داخلية وهو عامل لإثراء النص وليس على وفق مقتضيات الحال،

إن خط الشروع الأول في بلورة النص ستنطلق من بلورة فكرة رئيسة منغرسة لا تكشف عن نفسها في قراءة واحدة، لذلك تعتمد الرؤى على اللغة المتشظية، التي لا تأتي الفكرة إلا عبر تقابلها، فهي تؤثث واقعاً مكتنزاً ليبقى الأثر الإبداعي يستمد نسغ عباراته من فكرة المسكوت عنه، ليبقى وجودهما إحياءً في الذاكرة الجمعية معتمدة على الاسترجاعات الذهنية، إن الشروع في إضاءة المسكوت الشعري إنما تنطلق من رؤية إثراء مساحة الشعر وإتاحة الفرصة للعناصر الشعرية من أن تتحرك على وفق آلية فاعلة يكرسها فعل الانتقال بما يصطنعه الفعل الواعي لخلق تبصّر واعٍ يقدّم إجابات للتساؤلات التي تثيرها الذات، لتبقى المرتكزات الأساسية غائبة عن أيّة فاعلية لترسيخ هوية مفتقدة وهي هوية الذات المغيبة.

وإذا ما أراد المتلقي كشف المقصى والمهمش في ممكنات الواقع فإن الأمر سيتضح له لأنها تمارس نوعاً من التخفي يحرّكه الإقصاء ويجعله يتوارى خلف المنظور الشعري يجمعها خيط شعري يؤكده مضمون الاستلاب والتغييب.

لهذا يؤسس الصنعة الضدّية ولن تكون بمنأى على أن تصدّر هواجس الذات

التي تملك إخفاقات الفعل السالب الذي أدّى إلى انفصام عرى الأفكار في العمل الشعري، لذلك تكرّس اللقاء ليواصل بين حضور المتغيرات وغياب الثوابت التي تندمج في العمل الشعري، وبهذا فقد يهجس وصفاً آخر يتشكّل بضديته ليتحول شيئاً فشيئاً إلى ملامح ضدية تتحول إلى فعل متحرك داخل النص وصولاً إلى تحقيق مآلات الذات، وهذه المقاربات تكشف عن معطيات في المضمون والرؤية، لذلك كان له خطابه الخاص عبر الرؤية والفكر.

يمثّل المسكوت عنه وعياً ممكناً لرسم الملامح التكوينية لملامح النص الشعري والتي شرع الشاعر بإحكام سلطته على وفق توجهات الأنا والآخر مفضية إلى الرؤية الذاتية والحوار مع الذات في تشكّل شعري.

وبهذا الوعي المميز فقد بُني التضاد على أبعاد منها: الوعي في مهيمنات الشعر الذي جاء منساباً من وعي الشاعر نفسه في إبراز عمل شعري لا يخلو من المعطيات الناجزة، لذلك شمل أبعادًا أخرى تسير فحواها نحو الإيحاء لا التصريح فكراً وتكويناً، وهذا ما يجعل الشاعر يفطن إلى عمله وهو يشرع في وضع تلك المبتكرات في أتون الحدث بعدما يبث فيها قيمة فكرية مع بث البعد الفكري (الايديولوجي) معززاً بالبعد الفني في إبراز القيمة الفنية والفكرية معاً معززاً بالاشتراطات الأدبية، والشاعر على بينة من وجود رؤيتين متضادتين يتداخلان معاً ويفترقان في آنٍ واحد، وهذا العمل يتوق إليه الشاعر.

إنّ بعض الرؤى المتضادة المغروسة بقصدية واضحة تأخذ موقفاً مناهضاً للواقع ويمكن تسميتها بالمؤثر الداخلي الذي يوعز للمؤثر الخارجي بمدى رصده ومراقبته وأنه يتابع تلك التحركات ولا يريد لها إلا أن تخطو في كل مرة نحو العدول وأن لا تمرَّ في الطابع المغلق.

ذاب عرجوني على ظلّ نبي

يـــا

مسرّات! وما أورقتِ بي؟

مرّت الأوجاع ظلاً ناظـــــراً

فـــــوق أيـــــــامي ولم تنسكـــــــبي!

مـــن رآكِ قد رآني غائــــــــباً

حائـــراً

بــــــين المنى والتعــــــــــــب(٣٧)

فعذابات الروح تخفي وجعها عبر ثنائيات معنوية تارةً وأخرى ظاهرية، فهي تؤسس للحظات بديلة وهي إذ تنطلق وتمتد لتكشف عن تأملات وخطابات تنتمي لروح الإنسان وقيمه وتختزل كل مطالبه وطموحاته لتبقى في الذاكرة الإنسانية البعيدة ليستطيع الإنسان توثيق حالات الضياع من عالمه المحدود واللا محدود، وبهذا ظلَّ يطارد أيامه وهو يبحث عن مؤهلات لتواجده بل ظلَّ يهيئ له كي يجد المساحة التي يمكن أن يرسم فيها عمق المعنى الإنساني فإنّ الدوال البصرية تتفاعل مع مضمون النص ومحدداته، تلك المتلازمة تنهض بوعي التجربة التي يمكن أن تؤطر فراغ الإحساس وتؤكد علامات الدلالات الحاضرة والغائبة، التي تدعو إلى تماسك الرؤى وتتضامن معطياتها إذا ما أُتيح لمضامين العمل الأدبي أن يتابع أثر نهوض تلك الملامح المغايرة للانتقالات الفكرية لإحداث تماثلات أشد بياناً وإفصاحاً، تلك الإرادة الشاعرة تفجّر الصراع وتتعايش المتناقضات لتسبر أغوارها من أجل إفراز اللحظة التي يتجلى فيها الأثر الأدبي.

ولا عجب من اكتساب النص دلالته المعنوية بحكم مقصدياته الدلالية واستناده إلى مرجعية دالة، إذ يلتقي صوت المؤلف وصوت المتلقي في المدونة الشعرية من أجل تجسيد حوارية من طبيعتها أن تقوم على قانون التواصل لتكوين ذات تشتمل على رؤى تواصلية بين مرسل ومرسل إليه ورسالة لإبراز القيمة الجمالية للنص، وبهذا تخرج هذه النصوص إلى سياقات أخرى أكثر شمولية، وبهذا يروم الشاعر التعبير عن الحقيقة الشعرية من خلال رسم ملامحها وأبعادها، لذا تكلل المتن الأدبي برسالته الجمالية متجاوزاً بذلك التقاليد الأدبية من خلال خلق مساحة جديدة تجسد التلازم بين شخصيتي الشاعر والمتلقي ليكونا أقرب ما يكونا إلى التبادل والتفاعل وبهذا تكشف تلك التحولات والتغيرات إعادة الترتيب في سلالم القيمة الفنية لينتهي الموضوع في علاقة جدلية وانعكاسية.

إنَّ توجه القارئ لملء المسافة الجمالية هو ما يسمى بجمالية المتلقي، والشاعر يريد الربط بين زمن الجمال للنص والزمن النفسي ذلك إن النص يثير القارئ ويزوده بالموجهات لبناء المعنى من خلال دعوة الشاعر إلى دمج التخييلي بالواقعي العقلي

لذا فإنَّ للنص نبضاً معيناً كما فيه من الحيوية التي تُعدّ المجدّدة للنص وبهذا الشعور يمكن عدّ النص قيمةً جماليةً، وبهذا أكسبته ذخيرة فنية ممتدة متوجة بـ (الذاكرة الشعرية).

التضاد وبؤرة النص الشعري

يكتب الشاعر أحاسيسه بكلمات يعزّزها بالمعاني المؤثرة والألفاظ الدالة، وبهذا ينطلق الشاعر إلى فكرته الأولى في تسيّد الصورة التي غذّت مفاصل نصّه وهو يرتكن إلى التخييل في التجسيد ليعيد الدور مرةً أخرى إلى الصورة، لتكون الأقرب إلى فكرة المتلقي والشاهد على تكوين الفكرة من أجل إكمال أوصال المدلولات في وحداتها جمع بين الإشارة الآيقونية والاصطلاحية على أنّ لغة الصورة هي الأرسخ ليعمل على تركيبة أشبه بالمونتاج الفكري، الذي يتشكّل من خلال تصادم الأفكار في المنظور الشعري لتجدَ طريقها للحضور في جوٍ تفاعلي يدعو للتماسك، الذي ينجم من اللقطات المجتزأة المتضادة، التي هي في بنية النص المكتوب على أن تحتفظ هذه الآيقونات الأخرى في النص باستقلاليتها الفنية؛ كونها تحمل دلالتها بذاتها لكن ذلك لا يمنعها من التآلف مع الآيقونات البارزة ، لذلك تنقسم تلك الآيقونات إلى آيقونات ثابتة وأخرى متحركة وثالثة تتحرك بطريقة مكوكية تغذي مفاصل النص ورابعة يعدّها بعضهم هامشية لكنها ليست كذلك ومصداق ذلك ما تؤديه من معنى، ولذا يجود النص بتلك البناءات الجمالية التي تتدفق فيها اللغة لتلاحق الأفكار، وتسهم في رسم حيز النص ولحمته لتدل على أنّ العلاقة بينهما علاقة طردية على الرغم مــن طابعها الجمــالي

المعزّز بالمضمون البلاغي، والعمل على تحويل المشاعر والتجارب الداخلية إلى بنى فنية لما فيها من الحيوية والتنوع ليغدو النصّ مصدراً للمعاينة والكشف.

وممّا يرجّح كفة وجود الثنائيات الضدية الظاهرية منها والمضمرة هو القلق الذي يحدو بالشاعر إلى تجسيد تلك الثنائيات الضدية، والتي تُعدّ الشعاع الثابت لمشاعرنا الإنسانية و يتضاعف وجودها داخل النفس الإنسانية بحسب اختيار

الإنسان لطريقة مواجهة الحياة، وقد يتولّد من جرّاء الصراع الذي يخوضه الإنسان في وجوده الإنساني ضدّ كلّ ما هو لا إنساني محاولًا الحد في حريته.

هــذا رمـــــــــــــــــــــــــــــاد

مـــــــــــياهي

يختالــــــه لشفاهـــــــــــي

رمـــلٌ رعـــــــته دمائي

تطفـــــــــو علـــــــــــــيه

جباهـــــي (٣٨)

لذلك كان للهواجس الدورُ المميز في إحداث رؤية واعية لعذابات الروح ومعاناتها عبر رحلاتها، وهي ذاتها من تصنع فجوةً نفسيةً، وصرخةً مؤلمةً، كونها تكشف عن واقعٍ غير منسجم يخلق حواجزه في الذات، لذلك تحمل هذه الرؤى تحولات جديدة قد تسير بالإنسان نحو الإبصار والتمعن والتأمل، ولذا يحتاج هذا الدعم تحولًا لتصور جديد تجود به الذاكرة، ويتم خلق التوازن عن طريق إعادة النظر في الوقائع الاجتماعية من خلال تفسيرها أو مساءلتها أو كشفها، أو من خلال استثمار رؤى ضدية تُسهم في إثراء النصّ الشعري وتضيف لرؤاه بعض التحولات، بل تعمل على تفجير طاقاته والتأكيد على لحظاته، وبإمكانها أن تفتح مساحةً جديدةً لرؤيةٍ جديدة في التطور والتحول، وتوليد البدائل والاحتمالات إلى وقائع حقيقية داخل النصّ الشعري من خلال مدّه بالخيال الحركي معززًا بالحواس ليتناغم مع الحركية الشعرية، وغالبا ما تمزج بينهم لتجسّد رؤيتها بالنضج الفني، وأنَّ " السمع والرؤية يميلان للهيمنة على إدراكنا الواعي ولكن في الحقيقة أنّنا وفي جميع الأوقات ندرك ما يجري باستعمال جميع حواسنا بشكل متزامن " (٣٩).

ويشي النصّ بضرورة شحنه بالترابط والتقارب للمدركات، وتكثيف المعنى بما يثير الدهشة والجمال فضلاً عن المتعة الفنية، ويمكن الإشارة إلى أنَّ علاقات الترابط هي "علاقات غياب، تقوم على صلة الكلمات الحاضرة في الجملة بغيرها من الكلمات الغائبة عنها والمترابطة معها، فنحن لا نرتب الكلمات التي نذكرها في الجملة على أساس من تتابعها المحسوس في زمن النطق أو الكتابة فحسب، بل على أساس من عملية اختيار ضمنية، نستبقي معها بعض الكلمات ونستبعد غيرها من مخزون اللغة التي نستعملها، بحيث تظلّ الكلمات الغائبة مؤثّرة في الكلمات الحاضرة "(٤٠)

أسرّ المـــــــــــــــــــــــــــــــــوت
في وجع الرفاتِ
أنيناً مورقاً من كلّ آتِ
يناغي ظـــــــــــــــــــــــــــــــلُّه
دمعاً بليغاً
تبوح بجرحه كلُّ اللغاتِ
ليستسقي شتات الصبر منها
ويُـــــــــــــــنطق دربُــــــــــــــه
صمـــــــــــــــــتَ الجـــــــهاتِ(٤١)

ومابين (الحياة/ الموت) و(الكلام/ الصمت) تجود الذات بواقعٍ تحيطه العذابات ويمتد الوجع في أرجائه طالما تغيب الروح عن وطنها، وطالما تعيش في جوانحها الغربة بعيدا عن دفئه، وبذلك فقد فتح أبواب الرؤية لمرّات متعددة شملت بعض

موضوعاتها، وجسّدت رؤى أخرى لمسارها الفني، وثالثة للبناء المعماري في تشكّل جديد فضلًا عن استجابة ثيمات وتحولات الواقع عبر المترادفات وتتآلف المتناقضات، وتضمين البعد الإنساني مع موضوعة التغيير والثبات في النص الشعري لخلق مسافة متوترة بين جمالية النص ومرارة الواقع، كما أنّ التواشج بين الواقع والذات إنما يكشف نوعًا من المبادلة الفكرية التي تتزاحم فيها الرؤى وتتعاظم فيها الأفكار، إذ إنَّ الثنائيات الضدية هي التي

تحمل بنيات فكرية كما تحمل بيانات معرفية تصب في أطار البنية الشعرية المتكاملة، وعلى وفق هذا المنحى الفكري والفني فإن مضامين النص الشعري تواكب حركة التطور وفى شتى المجالات، كما أنها تنفتح على قيم العصر وتواكب تطلعاته.

وتبقى أبجدية المشروع المعرفي وهياكله المشرّع الوحيد الذي يمتلك بوصلة تحديد الاتجاه وإنْ تعزّز بالثنائيات الضدية، ولذا فهو لا يتشكّل عبر الإيهام والمحو الذي يلتقي ويختلف في بعض السياقات، إنّما يبرز في صورةٍ جديدةٍ يكرّس التحول بوصفه ضرورةً حتمية لمعاينة ما لا تحتمله الحقيقة الحياتية، فكان لا بدّ من التوجه إلى تعضيد الرؤية بالثنائيات والمتضادات والمتناقضات.

وبدا جلياً في النصوص الشعرية للشاعر ظهور الحضور الذهني الذي يرسم وجود الأسئلة ويفعّل الحوار، كما أخذت تلك النصوص تصطنع معادلات متنوعة تجانس مظاهرها وآلياتها، وهذا ما يدخل ضمن المبادئ الجمالية التي تشترط وجودها إلى جانب الوجود المعرفي وسيلة للفرز وتعزز من رصانة القاعدة الثقافية، مما ينتج الوقوف عند حدود التشخيص الدقيق، وترجيح التجارب التي تقف عند تخوم الإبداع، ومثل تلك اللغة تتيح القبول بالتحول المعرفي والارتكاز على مجسات الوعي، عبر طرح رؤية جديدة وإسنادها بالحجج المضادة، التي تجعل الفكرة عرضةً

للتوافق حينًا وللتعارض أو الدحض حينًا آخر، كما تدعو إلى المراجعة.

الخاتمة

يمكن إيجاز الخلاصات التي اشتملَ عليها البحث على وفق الآتي:

١- إنَّ الثنائيات توحي بما وراء المعنى وهي الدوال المضمرة خلف المعاني، وأن تحريكها يدفع النص إلى المزيد من إنتاج الدلالة ذات البناء اللفظي والدلالي والتركيبي.

٢- إنَّ النص الشعري مليء بالتجارب والحقائق ومنفتح على الحياة الإنسانية والفكرية، وهو يدعو للانسجام بين الموقف الفكري والبنية الفنية.

٣-بعد استقراء النصوص الإبداعية يمكن الإقرار بوجود مستويات جمالية لغوية فنية تخصّب منتوجها في البؤرة الشعرية سواء على مستوى البنية أو الأداء، عندها يتشكّل الانبثاق الشعري والإشعاع الفكري نحو معطيات المكون الشعري، وقدعبّرت الرؤى فيه عن بنية ذهنية.

٤-التعبير عن المعنى والمعنى الضد يظهر فيه عنصر الدهشة والتكثيف الدلالي زيادةً على أن ثمّة التذاذًا جماليا.

٥- تنحو النصوص نحو مساحةٍ واعية يمكن من خلالها الإفضاء بالدلالة، وأنَّ إيراد المعنى وضدّه يسهم في توظيف الألفاظ المتقاربة من أجل كشف امتداد ثراء الدلالة المتأتية من طاقة اللغة، التي يمتزج فيها المستوى الدلالي مع مستوى الصياغة البليغة.

٦-تدعو بؤرة النص الشعري إلى جعل الدلالة تتحرك في أفقه معززةً بالخصائص لتأكيد الحالة الذهنية للمتلقي من خلال مدّ المحتويات الدلالية في الجمل الشعرية لتكوين خلاصات فكرية متداخلة في مضمار القصيدة، وقدعبّرت النصوص عن

منطقة الفكر وكشفت عن مقدرة فكرية راسخة.

٧-أسهمت الثنائيات والمتضادات بردف النص ببعض الانزياحات من أجل انحراف النص ليصدم أفق المتلقي في خلخلة مقصودة، وأنَّ تلك الانزياحات من شرائط الشعرية لتحقيق أدبية النص عندها تتحقق القناعة لدى المتلقي بأن ثمّة إنتاجية جديدة للنص على وفق مقتضيات تلك القصدية تحقيقاً لمفهوم وعي النص وعلى وفق المستوى الدلالي والفكري.

٨- من خلال الثنائيات الضدّية تمَّ الاستدلال على سلسلة فكرية متنوعة فسحت المجال للانفتاح على بؤرة خفية عملت على تخليق التقارب بين المتضادات صانعةً الإدهاش عبر عوامل أفرزتها التصورات الجديدة في بنية النص الشعري.

الهوامش:

١- وطن بطعم الجرح، قصائد من العمود الومضة، مشتاق عباس معن، دار افراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٣م: ١٣١

٢- وطن بطعم الجرح: ٤٣

٣- وطن بطعم الجرح: ٤٥

٤- الطريق إلى النصّ، مقالات في الرّواية العربية، سُلَيمان حُسَين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧م:ص٩١.

٥- وطن بطعم الجرح: ١٢١

٦- أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م: ٢٤

٧-علم الأسلوبية والنظرية البنائية، د. صلاح فضل، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط١، ٢٠٠٧م: ٢٤٤.

٨- (قضايا الشعرية، جاكوبسن،تر: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م:٧،

٩- وطن بطعم الجرح: ١٢٩

١٠- الشعرية العربية، ادونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م: ٧٨.

١١- وطن بطعم الجرح: ٥٩

١٢- وطن بطعم الجرح: ٩٧

١٣- أساليب الشعرية المعاصرة، د. صلاح فضل، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٥م: ١٣٨

١٤- علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، دار آفاق عربي للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م: ٢٨.

١٥- ينظر: الشعرية البنيوية، جوناثان كلر، تر: السيد امام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م: ١٩٦.

١٦- علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، دار آفاق عربي للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م: ١٣٤.

١٧- وطن بطعم الجرح: ١٢٧

١٨- وطن بطعم الجرح: ٥٣

١٩- وطن بطعم الجرح: ٤٩

٢٠- مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، توفيق الزبيدي، سراس للنشر، تونس، (د.ت): ١١٧

٢١- وطن بطعم الجرح: ٥٧
٢٢- إشكاليات فلسفية معاصرة، مجدي ممدوح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٣م: ٧٧.
٢٣- نزعة النفي عند أبي حيان التوحيدي، وليد منير، مجلة فصول، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، ١٩٩٥م:٨٣.
٢٤- ينظر: آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس (دراسة في المنطلقات والأصول والمفاهيم)، د. بشير تاوريريت، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م:١٨٥.
٢٥- وطن بطعم الجرح: ١٣٧
٢٦- ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل، عصام شرتح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م:٤٨.
٢٧- قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، د. عبد السلام المسدي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د.ت): ٥٥.
٢٨- وطن بطعم الجرح: ١٣٩
٢٩- أسئلة الشعرية (بحث في آلية الإبداع الشعري)، عبد الله العشي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط١، ٢٠٠٩م:٢٦٥.
٣٠- وطن بطعم الجرح: ١٤١
٣١- سياسة الشعر، ادونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م: ٢١
٣٢- وطن بطعم الجرح: ١٢٥
٣٣- وطن بطعم الجرح: ١٥٩
٣٤- وطن بطعم الجرح: ٥١
٣٥- وطن بطعم الجرح: ٧١
٣٦- وطن بطعم الجرح: ٧٥
٣٧- وطن بطعم الجرح: ٥٥
٣٨- وطن بطعم الجرح: ١٦٧
٣٩- اللغة والانثربولوجيا، ادموند ليتش، ترجمة: باقر جاسم محمد- عباس جودة عبيد، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، ع٣، ١٩٩٤م: ٣٨.

٤٠- عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، أديث كيرزويل، ترجمة: جابر عصفور، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م: ٣٩٠
٤١- وطن بطعم الجرح: ١٠٣

المصادر:
١.- آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس (دراسة في المنطلقات والأصول والمفاهيم)، د. بشير تاوريريت، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
٢.-أسئلة الشعرية (بحث في آلية الإبداع الشعري)، عبد الله العشي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط١، ٢٠٠٩م.
٣.- أساليب الشعرية المعاصرة، د. صلاح فضل، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٤.- أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
٥.- إشكاليات فلسفية معاصرة، مجدي ممدوح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.
٦.-سياسة الشعر، ادونيس،دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٧.-الشعرية البنيوية، جوناثان كلر، تر: السيد امام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
٨.- الشعرية العربية، ادونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٩.-الطريق إلى النصّ، مقالات في الرّواية العربية، سُلَيمان حُسَين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧م.
١٠.-ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل، عصام شرتح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
١١.-عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، أديث كيرزويل، ترجمة: جابر عصفور، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م.
١٢.-علم الأسلوبية والنظرية البنائية، د. صلاح فضل، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
١٣.-علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، دار آفاق عربي للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م.
١٤.-قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، د. عبد السلام المسدي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د.ت)
١٥.-قضايا الشعرية، جاكوبسن،تر: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م.
١٦.-اللغة والانثربولوجيا، ادموند ليتش، ترجمة: باقر جاسم محمد- عباس جودة عبيد، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، ع٣، ١٩٩٤م.
١٧.-مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، توفيق الزبيدي، سراس للنشر، تونس، (د.ت)
١٨.-نزعة النفي عند أبي حيان التوحيدي، وليد منير، مجلة فصول، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، ١٩٩٥م.
١٩.-وطن بطعم الجرح، ((قصائد من العمود الومضة))، مشتاق عباس معن، دار افراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.